ثقافة الذات في فعل التصميم الداخلي

سداد هشام حميد

ملخص البحث:

تشكل الثقافة انموذجاً لهوية الأمة وشخصيتها الوطنية والحضارية، فقد ارتبطت الثقافة بالحضارة والتراث الإنساني المتوارث بوصفهما المقياس الحقيقي لأصالة الامم و عراقتها، وان الثقافة هي العامل المتغير باختلاف الشعوب وما تحمله هذه الشعوب من معتقدات دينية وفكرية وما يترتب عنها من أمور اجتماعية وعدها المرآة العاكسة التي تعكس الحقب الزمنية المتعاقبة.

و ان للتصميم الداخلي دوراً مهما في تعزيز هويتنا الثقافية وشخصيتنا أمام التحديات التي تواجه ثقافتنا اليوم بأساليب وأشكال متعددة ومنها العولمة بالشكل العام، والعولمة الثقافية بالشكل الخاص التي ترسم خطوطاً عريضة تنطلق منها الشخصية، فقد تحاول العولمة بما تفرضه من ثقافة أن تختصر الشخصية ضمن إطار محاولاتها للسيطرة على العالم في كل المجالات، وعلينا أن نحمي شخصيتنا الثقافية وإذكاء ثقافتنا وتعميقها وتوسيعها لتشمل كل جوانب الثقافة وأطيافها ومكوناتها والتصميم الداخلي كونه من هذه المكونات، و العمل على صياغة هوية تصميمية تعكس رؤيتنا الثقافية، في عصر تبدو فيه العولمة قادرة على تذويب هذه الهوية وإلغائها.

ومما تقدم يتضح ان المشكلة الاساسية في تصاميمنا تتمثل في الخلط بين مفردات الثقافة الغربية و مفردات الثقافة المحلية والرغبة في استعمالها وصولا لحالة الانتماء الجديد الى الكل الاشمل ومن ثم الموقف الناتج من هذه الحالة من مفهوم الهوية الثقافية ، و يحاول البعض ايجاد السبل الواجب تطبيقها في النتاج العربي تقليدا للثقافة الغربية بدون اي اعتبار للفكر والثقافة العربية، وبذلك تجلت مشكلة البحث في : (**القصور المعرفي لمفهوم ثقافة الذات في فعل التصميم الداخلي**) 0

Abstract:

Culture is a model reflects the nation's identity and national character and civilization, and its close association with civilization and human heritage legacy are the true measure of the authenticity of the United and originality, and that culture is a variable factor depending on the people and the sense of the peoples of religious beliefs and intellectual and their implications of social matters as a mirror reflex reflect the successive eras of time.

And that interior design plays an important role in the promotion of our cultural identity and our personality to the challenges facing our culture today, methods and multiple forms, including globalization, the format, and cultural globalization as private paint an outline from which the personal, you may try globalization imposed by the culture that summarize the personal and especially within the framework of attempts to take over the world in all fields, and we must protect our individuality and cultural awareness of our culture and deepened and extended to include all aspects of culture and the spectrum and components and interior design being one of these components, and work on the formulation of identity design reflects our vision of cultural, in the era of appears when globalization is capable of dissolving identity and cancellation .

From the foregoing it is clear that the main problem in our designs is to confuse the vocabulary of Western culture and vocabulary of the local culture and the desire to use and access of the state of belonging new to all the broader, and then position the output of this case, the concept of cultural identity, where some are trying to find ways to be applied in production Arab tradition of Western culture without any consideration of thought and Arab culture, and thus reflected in the research problem: (cognitive limitations of the concept of a culture of self in the act of interior design) .

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في:

١ - توفير قاعدة معلوماتية عن دور ثقافة الذات في فعل التصميم الداخلي والتي سينهل منها المختصون والباحثون في مجال التصميم الداخلي0

اهداف البحث :

١ -الكشف عن السمات العامة لثقافة الذات و فاعليتها في التصميم الداخلي 0

حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بدراسة ثقافة الذات (العربية المعاصرة) في فعل التصميم الداخلي0

مفهوم الثقافة :

ان كلمة الثقافة بمفهومها الاصطلاحي دلالة على النتاج الفكري بمعناها العام ليست كلمة ذات اصل عربي بل هي مصطلح (Culture) جاءت من اوربا وتمت ترجمته الى

(ثقافة) كمصطلح مشتق من الاصل "ثقف" بمعنى "فهم" بالعربية 0 وقد جاء ثمرة من ثمار عصر النهضة في القرن السادس عشر ليدل على النتاج الفكري الذي صاحب تلك الفترة وهي ذات اصل لاتيني (Cultivate) وتعني الزراعة 0(الثقافة وعلم الثقافة في القرن العشرين ، ص13)

ولقد استعرض المفكرون العديد من التعريفات للثقافة وماهو مهم لنا ابتداء لمعرفة ما تعنيه الثقافة مفهوما واصطلاحا للتميز بين فعل الثقافة في اطاريها المادي والفكري .

فالثقافة- مصطلحا – مجموعة محددة من الافكار الاجتماعية ذات معنى مكتسب يتناقله جيل بعد جيل – من عادات ومعتقدات وتقاليد واساليب وقواعد وسلوك بوساطتها ينظم الناس نشاطهم الحياتي، تلك المفاهيم المعقدة التي تترجم بذاتها الى اشكال وعناصر محددة في بناء الفضاء الداخلي الذي يختلف من حيث مفرداته على وفق تلك المفاهيم من عصر الى آخر ليكون كل فضاء بنية محددة

معبرة عن ثقافة ذلك الزمان بكينونة مكانية مفصحة عن الاطار المادي للجانب الفكري من الثقافة 0

اما مفهوم الثقافة فقد استعمل لوصف حقب تاريخية ومجتمعات معينة وامم، وكذلك لوصف مجالات خاصة بالنشاط او الحياة . (توماسيللو ميشيل ، ص 35)

وبناء على ذلك نجد ان الثقافة نتيجة وعملية ونشاط وطريقة واسلوب ونظام حيث العامل الاساس والموضوع ذو الاسبقية فيها الاهو الانسان لذلك يمكننا القول ان ذات الثقافة – الانسان (هو يبدع ويحافظ وينشر قيمة الثقافية المستنبطة) فهو مصدر التأثير الفاعل الذي يبنى من خلاله النشاط البشري .

فالثقافة كما تراها الباحثة **مجموعة المعارف والعادات والتقاليد والفنون وكل وا اكتسبه الانسان بوصفه عضوا في مجتمع يتحدد به ذاته والتي تمنحه هويته التي تميزه عن الآخرين** ، و يقودنا هذا التعريف الى تحديد ماهية ثقافة الذات التي تميزه عن الآخر0

مفهوم الذات:

على الرغم من بعض المحاولات الجادة لعلماء النفس وعلماء الاجتماع بقيت مقولة سقراط الشهيرة (اعرف نفسك) سؤالا محيرا ومشكلة هذا العصر ،فقد اكد الفلاسفة انه لم يعد أمام الإنسان اليوم إلا أن يفهم ذاته فهما ليتمكن من السيطرة عليها ومن ضبطها وتوجيهها بعد أن تقدمت معرفة الإنسان بالعالم ، بالمقابل فان عدم معرفته بالآخر وعالمه بقدر كاف قد يؤدي إلى اختلال التوازن بينهما لذا فقد أصبحت حاجة الناس إلى فهم ذواتهم والآخرين ورغبتهم في تحقيق التوافق والتوازن بينهما وبين العالم المحيط ضرورة ملحة بعد أن وجد الإنسان إن علاقته بالآخرين لم تعد علاقة ود وأمن واصبح الخوف والصراع سمات مميزة لعصرنا . (ابراهيم احمد ،ص 46)

وفي ضوء تلك العلاقة فقد تم تعريف الذات بكونها "الصورة التي يحملها الفرد عن نفسه او الصورة المنعكسة له من خلال علاقاته بالآخرين التي تشكل مفهوم الذات لديه و تمثل صفاته ومميزاته الشخصية من الناحية السلبية أو الإيجابية في المجالات العقلية والانفعالية والاجتماعية ".(لابين دلاس وجرين،ص49)

مستندة الى "التنظيم المعرفي الوجداني المستمر والمعبر عن وعي الفرد لوجوده والمنسق بين خبرته في الماضي مع الحاضر ومع آماله وتوقعاته في المستقبل "، ويبرز فعل الذات الواعية في ارساء قواعد التصميم بعيدا عن سيطرة القيم المضعفة لذاتية المصمم المدركة لوجود فعل الزمان المتغير ووجوب مواكبة هدا التغيير بوعي

من الذات المدركة لوجود الاخر لانتاج تصاميم داخلية تعبر عن روح عصرها نابعة من قيمها الاجتماعية والثقافية الاصيلة . (موسى ،ص118)

ومن خلال التعاريف السابقة نجد مفهوم الذات يرتبط وجوده بالآخر وإن إدراك الفرد لذاته يحدث من خلال تفاعله مع الآخرين 0 فالإنسان هو بنية وهذه البنية حصيلة عناصر مادية ليست من صنعه لكنها تأتي إليه وتمر عبره مؤدية إلى تكوين ثقافته الخاصة ، وتتمثل هذه الثقافة بمجموعة المفاهيم التي يؤمن بها من قاعدة أيديولوجية،أو سياق فلسفي تصبح من حيث كونها مرجعيته في فهم الآخر(ملكاوي ،ص4).

وبذلك يمكننا القول **ان الذات حصيلة المدركات الشخصية التي يكونها الفرد من مجموع المعارف والعادات والتقاليد و القيم المجتمعية لتكوين خصوصيته الثقافية بناءا على تفاعله مع الآخر."** فقد ارتبطت ثقافة الذات بمجموعة مفاهيم اساسية منها العادات والتقاليد والاعراف والمجتمع التي ساهمت بمحصلتها في بلورة هوية الذات الثقافية0

أ-الثقافة والمجتمع :

ان الانسان هو نتاج ظروفه الاجتماعية اكثر مما هو نتاج نسبه ووراثته الطبيعية ، فالبيئة التي ينشأ فيها الانسان تسلط نوعا من الضغط الاجتماعي او " القسرية الاجتماعية " التي تؤثر على تفكيره وعاداته من حيث يشعر او لايشعر ، لذا لايمكن تفسير تصرفات الانسان واوجه نشاطاته المختلفة الا من خلال علاقاته وارتباطاته في مجتمعه ومع الآخرين 0(الخولي ،سناء ،ص1)

والنظم الاجتماعية حاملة لثقافة المجتمع وهي الحصون التي تحفظ القيم وتحمي التراث الثقافي بما لها من قدرة عجيبة على مقاومة التغيير ، ويعد (دوركهايم) ان النظم الاجتماعية ذات خاصية اجبارية والزامية فتأثيرها في الذات يتخذ طابعاً الزاميا، كما في تاثير القيم الاجتماعية الواضحة في تصميم الفضاء الداخلي للبيت الشرقي انموذجا معبرا عن الفهم العميق للقيم التي يؤمن بها المجتمع وتمسكه بها في تلك المرحلة حاويا بذاته فعاليات البيت ضمن نطاق (الحوش) الذي عد انذاك محور الحياة الاجتماعية للاسرة العربية معبرا بذلك عن ثقافة الذات وترجمتها الى فعل تصميمي بما يتوافق ومعنى التفاعل الاجتماعي انذاك 0 (د عماد،.عبد الغني ،ص90)

الشكل (1،1) يوضح ثقافة المجتمع العربي من خلال التصميم الداخلي للبيت

وقدم (لسلي وايت) في كتابه " علم الثقافة " تدعيما لمبدا ان المجتمع اساسا لانتاج " الرموز" واساسا في بناء " الثقافة " لانتاج مايسمى ب " التفاعل الرمزي " الذي يعتمد على حقيقتين منطقيتين هما :

١ - ان الناس يتعاملون مع الاشياء على اساس معانيها بالنسبة لهم 0

٢ - ان المعاني ناشئة عن التفاعل الاجتماعي للفرد مع غيره ، لذا يكون المعنى ناتجا اجتماعيا0(Herbert Blumer ,P2)

فالفرد المهيأ اجتماعيا يستطيع الاتصال رمزيا والمشاركة في المعاني ، والفعل والانفعال والتفاعل مع الآخرين 0 لان المعنى صادر عن تركيب الانسان النفسي والعقلي لتأثره بمشاعر الفرد ، ذكرياته ،قيمه ، عاداته ، وتقاليده ، مما يؤدي الى اختلاف التفاعل الرمزي تبعا لكل ذلك 0 وبذلك لاتكون ثقافة الفرد مجرد استجابة للآخرين بل هي استجابة ذاتية اي استجابة لمحصلة الرموز الداخلية ،وتكون بذلك الثقافة الاجتماعية اشكالا ونماذج للتفاعل الاجتماعي يتحرك الانسان خلالها ليؤدي افعالا معينة او يقوم بسلوك محدد لذا تنطوي الثقافة الاجتماعية على نوع من الدينامية كما ان فيها بناءا يتصف بالثبات 0(الخولي ،سناء ،ص29)

و مما سبق نجد ان المجتمع لا يتحكم فقط في اسلوب تنظيم الحياة فهو صيغة لانتاج الرموزالتي تربط نتاج الانسان بمجتمعه بهدف رفع مستوى التوافق الثقافي

بين الفرد وبيئته وبذلك تكون الرموز وسيلة ايصال معبرة عن ثقافة المجتمع وفي اطار اكثر تخصصا يختص بثقافة البيئة العمرانية للفرد والمجتمع.

ب-العقيدة والثقافة :

ان العقيدة هي مجموعة القيم والاحكام والقوانين التي تنظم حياة الناس في مجتمعهم وبلادهم ، وهي ماينبثق عن الاصل المعلوم اوعن مصادر التشريع كالعقيدة الاسلامية فضلا عن العقائد السماوية الاخرى كاليهودية والنصرانية والعقائد الارضية كالهندوسية و البوذية التي اعتمدت اساسا على الافكار التي لاتتعدى حدود التدين في التعامل مع حياة الناس وهنا يتبادر الى الذهن سؤال : كيف للعقيدة ان تعطي فكرا اوتبني ثقافة ؟

والاجابة على هذا السؤال يكمن في نتاج العمارة والتصميم الداخلي اذ تتخذ هذه المفاهيم صفة التمثل من خلال بعض الأشكال التي تحمل رموز كثيرة ، فالعمود الخشبي الذي صلب عليه السيد المسيح تحول الى رمز اذ ان وجود التصالب بصورة واضحة كان دليل على تبعية النتاج الى الدين المسيحي والتمثال متعدد الأيدي دليل على الديانة الهندوسية وغيرها ، و في عمارتنا العربية فمجرد وجود القوس في الأشكال المعمارية يحمل الأعمال المعمارية على الترابط الفكري بين النتاجات المعمارية والحضارة الإسلامية ،كما في الشكل (2،1)

الشكل (1،2) يمثل نماذج لاعمدة تعبر عن الحضارة الاسلامية

ولم يكن تقديم النتاجات النهائية منطلق من طبيعة تطور فعاليات المجتمع مع الدين وطبيعة السلوك المرتبط به، فالدين الإسلامي على سبيل المثال يمتلك آلية داخلية وتركيبة فكرية تسمح له بمجارات التطورات الخارجية المرتبطة بالامتداد الزماني ومنها يمكن عد ان العمارة او التصاميم المعتمدة على المصدر الديني او الاعتقادي يجب ان تكون محافظة على نسقها الخارجي من طبيعة النظام الفكري الذي يحكم المتغيرات والثوابت الكلية في تكوين الفكر والدين والعقائد بصورته الشاملة، وإلا فان استعمال أو دمج نظم فكرية خارجية عن طبيعة هذا المصدر يكون غير ذي معنى، ولاسيما عند استعمال عناصر ارتبطت منذ القديم بالأفكار ذات الأبعاد الدينية والعقائدية في فترات مختلفة من تاريخ العمارة بشكل عام .(الثويني ، د.علي،ص12)

فالمعماريون والمصممون يقرون بوجود قيم واحكام اسلامية كانت وراء تشكيل عمارة المسلمين في مختلف العصور ، وان هذه الاحكام والقيم ليست الا نواة لنظام شامل يوجه العمارة والتصميم الداخلي في البلاد الاسلامية ، هذه القيم هي المضمون الذي يهيئ الفرصة لاهل الاختصاص ليقدموا

التصاميم والمعالجات التي تنسجم مع ثقافتهم والذي يشكل بالنتيجة الناتج المادي للثقافة 0(ابراهيم عبد الباقي ،ص15)

ومن ذلك نخلص الى ان العقيدة هي مجموعة الاحكام المنبثقة عن المبادئ الدينية التي تحكم وتنظم هندسة العمارة والتصميم في اي بلد مجسدة بذلك فكرهم وثقافتهم الخاصة ، فطبيعة البعد الديني يفرض معاني على العناصر الموجودة، في حين يعمل الزمن على تثبيتها وتأصيلها في حياة المجتمع الثقافية والفكرية ومنه يمكن ان تختلف طبيعة استخدام هذا العنصر تبعاً للمحتوى العقائدي والبعد الديني الذي يمتلكه الفرد والمجتمع

ج- الثقافة والحضارة :

ان اي نتاج تصميمي لايمكن ان يستقل بذاته فهو ليس الا جزءا من عالم ثقافي وحضاري اوسع 0(بونتا ،ص165)

وعليه يمكننا القول ان النتاج التصميمي ظاهرة ثقافية وتمثيل مادي لنمط الحياة الاجتماعية التي انتجتها : العقيدة والعادات والتقاليد والمعتقدات والقيم الاجتماعية ، فكل ماينتجه الانسان من ممارسات وقيم هي انعكاس وتمثيل لخصوصية وجوده ضمن المحيط البيئي والثقافي ، وهي الوسط المعبر عما تمثله الثقافة من مستوى خاص لتجلي الوعي بعلاقة الذات والآخر في فعل التصميم الداخلي وماهيته 0

فالثقافة الانسانية هي منظومة ارتباط المعنى بالتصميم لذلك نجد ان تصميم البيوت في المنطقة العربية لحقبة زمنية سابقة متشابهة في تعبيرها عن القيم والعادات الشرقية وممثلة بصورة معبرة عن الثقافة العربية ، كما في الشكل (1،3)

الشكل (1،3) يمثل بيت دمشقي مشابه في ثقافته للبيت البغدادي والذين ينتميان الى الثقافة العربية الاسلامية

ولذلك يجد (شولز) ان الثقافة " هي حالة تقييم " مكونة من معان متفق عليها ومتآلفة ، لتجسد النتاج التصميمي في زمان ومكان معينين ، كما اعتمد ادراك التصميم كفعل ثقافي على التفاعل بين الفكر والمجتمع محققا قيام التصميم بوصفه ذلك(الكل المعقد من المعارف والمعتقدات والقيم والادوات التي يكتسبها المصمم ويعكسها في نتاجه بصفته عضوا في المجتمع) ، وتمثل الصيرورة التفاعلية التي يطور بها النتاج التصميمي ذاته استنادا الى وعيه بقيمة وجود واهتمامات الاخر 0 (Schulz ,p97)

ويؤكد ماسبق طرحه اهمية التمييز بين المستوى الحضاري والثقافي في عملية التصميم والتي تصنع بدورها آليات التمايز بين الذات والاخر 0

وهذا ما يحدده (حرب) بقوله " ضرورة الموازنة بين آليات التحضر ،وابداعات الثقافة " ففي حين تعمل آليات التحضر على توحيد البشر ، تعمل الهويات الثقافية على تفرقتهم، كما يصفها بقوله " تجمعهم امكنتهم الحضارية وتفرقهم ازمنتهم الثقافية " 0 وهذا هو فرق الحضارة عن الثقافة ، فالحضارة تحيل الى المكان وتكون تقنية واداء ويغلب عليها الانتاج المادي كحضارة بلاد الرافدين ، وادي النيل ، في حين تحيل الثقافة الى الزمان والذاكرة وتكون قيمة وانتاج للرموز والنصوص وتخلق حالة من التنوع والغنى والفرادة (حرب،ص108-109)0

تخلص الباحثة الى ان الحضارة مفهوم واسع يضم في ثناياه التعدد الثقافي للحضارة الواحدة غير ان مايميز تلك الحضارة عن غيرها هي ثقافتها التي تمثل ذاتها المعبر عن مضمونها والذي يميزها عن المضمون الحضاري للآخر 0

د- الهوية الثقافية :

تلك الارادة في رسم الفصل بين (الذات) و(الآخر) والحفاظ عليه بين الهوية التي تمتلكها الذات وتلك التي يريدها الآخرون0

ينشأ مفهوم الهوية الثقافية على وفق الموقف من عوامل الزمان والمكان و ان كل عصر يمثل هوية مميزة في فهم الثقافة (casey,p321) وعندما نشير الى هوية معينة فنحن نشير الى الشكل العام للتصميم كما يرى (وايتهد)، والتي تمثل وجهة نظر تجاه العالم المعاصر للذين عاشوا التجارب الانسانية لزمانهم ونجحوا في التعبير عنها بما يتناسب وما تضمنته تلك التجارب من افكار وعلوم وتكنولوجيا (مالكوم ،ص24) ، اذ ان تصور الانسان عن ذاته ومحيطه الوجودي هي التي تقود بناء الهوية الثقافية ، من خلال كونها تدفع الانسان الى تغيير محيطه الفيزياوي كمحاولة للتوافق مع تغيرات بيئته الثقافية – الفكرية 0(النعيم ،ص112)

مما تقدم نجد ان الهوية الثقافية غايتها اغناء معنى التصميم و التعبير عن مضمونه اذ ان حالة التغيير في بنية الفكر الثقافي للمجتمع تستدعي ما يماثلها

في التصميم لان التصميم كأي شكل من اشكال التعبير الثقافي الاخرى ، متداخل مع المتغيرات الاجتماعية ضمن كل مرحلة زمنية 0

وتأسيسا على ماسبق يمكننا عد الهوية قيمة انسانية رمزية تتبلور الى نتاج تصميمي من خلال خصائص الشكل ككيان مادي ذي تداعيات على مستوى الزمان والمكان ، وبما يجعل منها تلك الحالة المدركة التي تحدد مكان الذات ضمن عالم الآخر0

فالهوية اذا بيان وتعبير للرموز التي تسعى الى تحقيق حالة من الانتماء الى وحدة كلية اكبر هي الثقافة مما يقودنا الى دراسة حالة الانتماء الرمزي للذات كآلية للتعبير عن الهوية الثقافية 0

الرمز والانتماء الثقافي :

يصف (كريس ابيل) التصميم بأنه احد اهم النتاجات التي تجمع بين الوظيفة الرمزية وبين عملية بناء وتشكيل الانتماء الثقافي ، لتجعل من التصميم شكلا حياتيا يظهر في هيئة حركة او طراز – منظومة طرزية وايديولوجية – ليكون انشاء متميزا للفعل الانساني (Abel,p145)0

وتمثل الرموز التي تشكل اي ثقافة وسائل لتوصيل المضمون الذي تجسده ، كما ان الثقافة هي التي توفر الجانب الفكري في العملية الاجتماعية فالرموز الثقافية لاتفصح عما هوعليه العالم فقط ، بل تقدم قواعد ارشادية وانماطا سلوكية ، فقد جسدت الشناشيل رمزا للتصاميم الاصيلة للبيت العراقي التقليدي والمعبر عن مرحلة منسجمة وقيم مجتمعها وتحولت بفعل تغيير الزمن الى رمز للانتماء لثقافة المجتمع ككل كما في الشكل (4،1)

الشكل (1،4) يوضح تصميم الشناشيل كرمز معبر عن ثقافة البيت العراقي

فالثقافة هي نظام تراتبي من المعاني والرموز يعرف الافراد من خلالها عالمهم ويعبرون عن مشاعرهم ويصدرون احكامهم (Geertz ,p245), 0، وان للتعبير الشكلي على مستوى النتاج التصميمي بنى عميقة تتجسد من خلال اسقاط الرموز الاقترانية الكامنة في ذهنية المصمم الداخلي والمتأتية من استلهام واستحضار المضامين الفكرية والثقافية للبيئات الداخلية ومفرداتها الشكلية وغالبا ماترتبط تلك المضامين بالانتماء الذي يمكن تصنيفه الى :

١ -الانتماء الثقافي Cultural Belongingness (موضوع بحثنا)

٢ -الانتماء الوظيفي Functional Belongingness

يرتبط الانتماء الثقافي بالهوية الحضارية او الطرازية المتباينة للمجتمعات من خلال تصميم الفضاء الداخلي مع مفرداته التكوينية باسلوب ذي اصول رمزية اقترانية لاحدى الثقافات تاريخية كانت ام معاصرة ، مثل استعمال زخارف

الارابسك وتأكيد الوان محددة كالاحمر والاصفر الذهبي والتركواز ،كما في الشكل (1،5)

الشكل (1،5) يوضح استخدام الالوان المعبرة عن الانتماء للثقافة العربية والحضارة الاسلامية

وعلى الرغم من توظيفها باسلوب معاصر ، الاانها تقترن مباشرة بتأويل لدى المتلقي بانتماء (الذات) للحضارة الاسلامية0
مع الاخذ بنظر الاعتبار ان ما افرزته التوجهات الفكرية لمرحلتى الحداثة وما بعد الحداثة في فن العمارة والتصميم الداخلي ، كالتفكيكية والظاهراتية وغيرها من الحركات المنتمية الى تلك الاتجاهات ، قد ساهمت في وضع انظمة تصميمية اتسمت بالطرازية ، ومن ثم يمكن ان نركن الى تصنيفها ضمن الانتماء الحضاري (للآخر) اذا ما اعتمدت من قبل المصمم في فضاءاته الداخلية 0(حرب ، ص115)

وبناء على ما تقدم نجد ان الانتماء الثقافي يرتبط بشكل ومعنى الرمز المستعمل في الفضاء الداخلي والتفاعل معه يوحي بمعان ترتبط بهويته الثقافية مستعينا بالخزين الهائل من الرموز الحضارية التي يمكن التنوع في استخداماتها ضمن علاقات الذات والاخر الثقافية و المتفق عليها من قبل افراد المجتمع ، هذه الرموز هي التي تؤكد روحية وقيم الثقافة وانتمائيته لحضارة ما ، و هذا ما يثير تساؤلا مهما حول كيفية ايصال هذه المضامين ؟ والاجابة عليه تقودنا إلى الخوض في موضوع منظومة التواصل الثقافي 0

الزمكان الثقافي في الفضاء الداخلي:

يمكن عد الرمز طريقة للتعبير، واللغة التعبيرية للاشكال تسجل حضورها من خلال التصاميم الداخلية القادرة على تبليغ المعنى و المصمم حينئذ يكون المسؤول عن التواصل مع ثقافة المجتمع وطموحاته وبتواصله يكون التفاعل الحضاري.

ففي المجتمع العربي تتبلور قواعد تلك المعاني على أسس تنبع من ثقافته وتصبح التصاميم الداخلية والمعمارية وسيطاً جيداً للتواصل مع تلك الرموز وما تحمله من المعاني . (غادة ، ص 14) فلا يمكن لاي تصميم داخلي أن يكون نفعياً فقط أي بمعنى أن النظم الفضائية والشكلية تعمل كاللغات الحية فهي ترمز أو تصدر رسالة من نوع ما حول ثقافة المجتمع في اطار العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية ضمن النظام التواصلي. (يوهانسن ، ص 12)

وإن فقدان الخصوصية والابتعاد والانقطاع عن ثقافة المجتمع العربي (ثقافة الذات) تحدث نتيجة تأثيرات من خارج الثقافة العربية وفرض مرجعيات عليها وهذا ما احدثته التيارات الثقافية -الفكرية الغربية (ثقافة الآخر) على الفكر العربي0(ماج،ص 46)

في حين نلاحظ ان بعض التصاميم العربية الداخلية والمعمارية تميزت بخصائص اعطتها هوية ثقافية قومية تفردت بها عن باقي الثقافات ، وان تحقيق الهوية المتفردة لتلك الثقافة يتطلب الموائمة بين اتجاهات عدة. منها اتجاه الوجود الإنساني واتجاه الوجود المكاني واخيرا تأثير عامل الزمن ، وهي عملية تواصل مستمرة بين ثقافة الماضي والحاضر و المستقبل ،و ذهب إليه كثير من منظري التصاميم الداخلية

والمعمارية الذين عدوها إحدى الظواهر الثقافية المتسمة بالشمولية. (العمري ، ص 44)

وفي ضوء ماتقدم نجد ان التواصل الثقافي في الفضاء الداخلي يحصل من خلال تأكيد ضرورة حضور الإشكال التي تعمل كرموز تواصلية اتصالية نابعة من الفهم العميق للاتجاهات الثلاث السابقة الذكر و تاكيد خصوصية الثقافة العربية و الإيمان بدورها في التصاميم الداخلية و المعمارية لتحقيق الذات في مواجهة تيارات فكر الآخر ، ويمكن تحديد اتجاهات او طرائق التواصل الثقافي في الفضاء الداخلي بما يأتي .

أ- التواصل الزماني . ب- التواصل المكاني .

أ- التواصل الزماني

ان التواصل الزماني في الفضاءات الداخلية يكون من خلال استثمار معطيات الثقافة في منظومة المعاني التي يحملها ، فيحتوي بذلك الفضاء الداخلي الجديد على المحتوى الثقافي للمجتمع بهيئة رموز(الذات) تعبر عنها تكنولوجيا(الآخر) للفضاء الحاضر في ديمومة وتواصل زماني .

ويمكن ان يتناسب ذلك مع حضورها الفيزياوي حيث تطغى أهمية التفرد لهذه النتاجات التصميمية الداخلية والمعمارية كشواخص ذات قيم ثقافية معنوية يتم نقل المعاني وإيصالها من خلال نظام موحد لقواعد اتصالية متفق عليها قابلة للفهم المشترك من قبل المرسل و الملتقي في آن واحد ، وهذه الأنظمة المكونة من رموز وعلامات لغوية ما هي الا نتاج لثقافة ومجتمع معينين وتحمل قدراً مميزاً من الخصوصية على الرغم من احتمال وجود جوانب مشتركة بين لغة(الذات) وتكنولوجيا (الآخر) . (Grabar, p76)

فالتواصل يمثل الربط بين مراحل تطورية مختلفة للوجود و الإدراك ، والإحساس بالتواصل الزماني يعني إدراك الوجود في الزمان وهذا غاية الإحساس بالحياة وهو منسجم تماما مع إحساس متطور بالمسؤولية تجاه الحاضر و المستقبل . (Smith, p 11)

يتبين لنا ان التواصل الزماني هو الاستمرار ، أدراك الإنسان وتفاعله وتأثيره مع ما موجود في الفضاء الداخلي من عناصر ومفردات ، والإحساس بالتواصل

الزماني ، يعني إدراك الزمان من خلال استثمار معطيات الثقافة و تحقيق التواصل مع الماضي عبر الحاضر باتجاه المستقبل .

ب- التواصل المكاني

يجسد المكان البعد الإنساني للواقع ويحتوي الزمان، في هذا المعنى يكون المكان اكثر التصاقاً بحياة الإنسان من الزمان لان خبرة الإنسان بالمكان وإدراكه له يختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان . (حسنين، ص 59) إن فهم تعابير الفضاءات الداخلية ومعانيها التي تتأتى من خلال توظيف الأشكال ودلالاتها الرمزية و التعبيرية وموقعها ضمن الفضاء الداخلي وقدرتها في بناء ثقافة المكان ، حيث يوفر لنا فرصة فريدة لتحقيق قدر عال من الإحساس بالفضاء الداخلي و الانتماء المكاني .

وإن المعاني الرمزية (الظاهرة أو الكامنة) التي تحملها الفضاءات الداخلية يدركها الأفراد بشكل شعوري أو لا شعوري وتؤثر في مشاعرهم أو أحاسيسهم وسلوكهم في المكان وفيما بينهم . وان التعرف على خصوصية المعاني الرمزية في الفضاءات الداخلية هو من العوامل الأساسية في إحساس الأفراد بالانتماء إلى المجتمع والى المكان . (Lang, p 203)حيث يكون هناك نوع من الاتفاق الجمعي على الإبعاد الرمزية و التعبيرية لطراز او عناصر بنائية معنية ضمن المجتمع المتجانس .

وهنا تبرز أهمية التواصل المكاني في المحافظة على هذا الوجود الثقافي و ديمومته مما دفع بالإنسان إلى ابتكار الرموز و المعاني التي تحدد خصوصية وتدل علـيه وتدعمه وتنـظمه . (الجادرجي ، ص 30)

خلاصة القول يتضح لنا ان التواصل المكاني يرتبط بإبعاد إنسانية نسبية ، حيث إن ماتشكله عناصر المكان يرتبط بثقافة المجتمع كصورة ذهنية ويعتمد تواصل هذه الذاكرة على التنظيم الشكلي و المعنوي لهذه العناصر التي تحمل في ثناياها العادات والتقاليد للمجتمع العربي وضمان استمرارها عبر الزمن .

ويتبين لنا إن مستوى المفاهيم والأفكار والقيم التي يحملها أفراد المجتمع والمعبرة عن بنائهم الثقافي والاجتماعي ، وتوجهاتهم الفكرية التي لها أثراً رئيساً في تكوين البيئة السلوكية للأنسان وتعريفه 0كما تؤثر بشكل فعال على تشكيل الفضاء الداخلي حيث إن تلك الفضاءات تمتلك القدرة على بث رسائل متعددة ومتزامنة تتراوح مضامينها وأشكالها من المفاهيم المعقدة إلى البدائية التجريدية.

وان التواصل الشكلي يكون تواصلاً لغوياً بين الإنسان والمكان يتم عبر وجود مستوى معين من الاتفاق الجمعي حول معاني الأشكال والمضامين التعبيرية للفضاءات الداخلية سواء كان ذلك على المستوى الإدراكي المباشر للمعلومات الخاصة بتلك الفضاءات أو على مستوى أكثر عمقاً والمتعلق بالإيحاءات والإقترانات الرمزية .

نتائج البحث:

١ ـ الثقافة منظومة ذات جانبين : فكري قيمي ، ومادي طرزي ،يؤدي ارتباطهما الى تحقيق حالة الهوية الثقافية في التصميم التي تعبر عن قيم الذات الجوهرية ، وتشكل صورة لثقافة ذلك الزمان والمكان والمجتمع 0

٢ ـ ان ارتباط الثقافة بالتصميم الداخلي في هيأة علاقة بين المعنى والمبنى محددة مابين تعبيرين الانتماء والتفرد الذي يجعل من الرموز حالة خاصة يتم ادراكها لعاملين : طلب الثقافة رغبة في الانتماء ، وطلب الحداثة رغبة في التفرد لتحدد نمط التغيرات الفكرية والمادية، ولتكون عاملا جوهريا في الاختلاف والتمايز الحضاري0

٣ ـالمنظومة الرمزية التي تتجسد من خلال الشكل ،والخامة ،واللون ، وتقنية التصميم تعبر في ذاتها عن المفهوم الاساس لخصوصية الانتماء بجوانبه الاساسية الثلاث المتحققة في الانتماء العقائدي ، أو الاجتماعي أو الانتماء البيئي لثقافة الذات والآخر على السواء 0

٤ ـ المنظومة التعبيرية للرموز الثقافية ما هي الا رسالة ، لايصال المعنى المتحقق عن لغة الرموز وهذه الرسالة تحمل في مضمونها بعدا زمانيا ومكانيا لجوهر التصميم المعبر عن هوية الذات والآخر الثقافية 0

٥ -التصميم لغة خاصة تعتمد في خطابها مفردات مختلفة متفاعلة باتجاهين مختلفين فاذا كانت لغة الذات من الرصانة، وقوة التاثير في عملية التلاقح الثقافي تحولت الى ثقافة عالمية أما اذا اتخذت منهج الاغتراب محاكاة لثقافة الاخر ذابت في تياراته وتوجهت نحو العولمة الثقافية 0

المصادر :

١ -ابراهيم احمد ،ابو زيد، **سيكلوجية الذات التوافق** ، المعرفةالجامعية، الاسكندرية،1987.

٢ -بونتا ،خوان بابلو، ، **العمارة وتفسيرها : دراسة للمنظومات التعبيرية في العمارة** : سعاد عبد علي مهدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، سلسلة المئة كتاب ،1966

٣ -توماسيللو ، ميشيل ، **الثقافة والمعرفة البشرية** ،سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – الكويت 2006

٤ -الثويني ، د.علي ، **مذاهب الهندسة المعمارية العراقية** ، مقالات وآراء منشورة ، المجلة المعمارية العراقية ISM، 2003

٥ -الجادرجي ، رفعت : **حوار في بنيوية الفن والعمارة** ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن، 1995 أ

٦ -الجادرجي، رفعت، **العمارة المقدسة**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 201،2000 ،.

٧ - جون ،توملينسون ، **العولمة والثقافة ، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان**، ترجمة :د. ايهاب عبد الرحيم محمد ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت 2008

٨ - حرب ، علي **" نقد النص** " ، المركز الثقافي العربي – بيروت ،ط 1 ، 1993 .

٩ -حسنين، احمد ظاهر وأخرون، **جماليات المكان**، العراق، بغداد الطبعة الثانية، 1988.

١٠ - الخولي ، سناء ، **المدخل الى علم الاجتماع** دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية 1990

١١ -عبد الباقي ،ابراهيم ، **نظرة الاسلام الى نظرية العمارة** ، مركز العمارة والتخطيط ، القاهرة 1986

١٢ - العمري، حفصة، **القرآن الكريم مفتاح للبحث العلمي لعلم العمارة ونظرياتها**، ندوة العمارة العربية الإسلامية المعاصرة (إشكالية الهوية)،المؤتمر العلمي الأول لنقابة المهندسين الأردنيين، الأردن، عمان، 1998.

١٣ -عماد ، عبد الغني ، **سوسيولوجيا الثقافة** مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت –لبنان 2006

١٤ -غادة موسى ،رزوقي ، **الخصوصية في العمارة** ، أطروحة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية ، جامعة بغداد، 1987

١٥ -لابين، دلاس وجرين.**مفهوم الذات**، ترجمة فوزي بهلول،دار النضة العربية ،القاهرة، 1981.

١٦ -**الثقافة وعلم الثقافة في القرن العشرين** ، مجموعة من النقاد الروس ،ترجمة هدى علي عبد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، مطبعة دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،2010

١٧ -مالكوم ، برادبري ، مكفرلن ، جيمس ، **الحداثة** ، ترجمة ك مؤيد حسن فوزي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 1987 .

١٨ -ماج، جالس، **المجتمع في العقل** ، عناصر الفكر الاجتماعي، ترجمة د. إحسان محمد الحسن دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990.

١٩ -ملكاوي، د.فؤاد ، **النفس والعالم الاجتماعي والبيئة المبنية** : قراءة نقدية لمعاني النسيج العمراني في المدينة العربية والاسلامية" المؤتمر المعماري الاول لنقابة المهندسين الاردنية العمارة العربية المعاصرة ،اشكالية الهوية ، عمان ،الاردن ،ايلول، 1998.

٢٠ - موسى عبد الخالق، جبريل، **تقدير الذات والتكيف المدرسي لدى الطلبة الذكور**.المملكة العربية لبحوث التعليم العالي ،المركز العربي لبحوث التعليم العالي،دمشق، 1984.

٢١ -النعيم ، مشاري عبد الله ، **تحولات الهوية العمرانية** : ثنائية الثقافة والتاريخ في العمارة الخليجية المعاصرةفي الفكر العماري العربي في بداية القرن الجديد : الملف الثاني – حاضر العمارة بين وهمي النظرية والتاريخ ، المستقبل العربي ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية 2001.

٢٢ -يوهانسن، بابر، **القديم والحديث في النظرية الازدواجية** ، مجلة فكر وفن، العدد 31، 1978.

23-Abel,Chris; **Architecture and Identity**- Towards a Global Echo- Culture; Architectural Pres.

24-Casey,EdwardS;**The Fact of place-** APhilosophy History; by the Regents; W. W. Norton and Co. NewYork , London.1998

25-Geertz , **The Politics of Meaning** , first published 1972. Collection .The Interpretation of Cultures 1972

26-Grabar, Q**., Symbolism And Sings In Islamic Academy** Editions U.K, 1991- G Th Ed.

27-Herbert Blumer , **Symbolic Interactioism: Perspective and Method** , Englewood Cliffs, New JERSY, Prentic Hall,Ine-1969,

28-Lang, Jon , **Creating Architecture Theory**, Van Nostrand, Reinhold Company , London , 1987

29-Schulz , Christian Norberg**: Intentions in Architecture**,1969

30-Smith, Peter, **The syntax of cities**, Hutchins, London 1977